الرياض
السبت ٢٠ شعبان ١٤٢٦هـ - ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٦٠٦

اليوم الوطني تتويج لإنجاز تم وتحفيز لإنجاز قادم

د. حمد بن عبدالله اللحيدان

واليوم ونحن نحيي ذكرى اليوم الوطني لا نستطيع أن نحصي أو نُعدد الإنجازات التي تمت على أرض هذا الوطن، فهي لا تُحصى ولا تُعد سواء كان ذلك في مجال التعليم الذي زاد عدد رواده من الطلاب على خمسة ملايين طالب وطالبة ووصل عدد الجامعات الحكومية فيه إلى أكثر من خمس عشرة جامعة.

لكل أمة من الأمم الحق في أن تفاخر بإنجازاتها المختلفة وأن تتذكرها لتجعل من تلك الذكرى نقطة مراجعة لما تم إنجازه وتقويم ما اكتنف تنفيذ تلك الإنجازات من أخطاء، وذلك للاستفادة منها في رسم انطلاقة جديدة في ميادين الإنجاز والبناء والتقدم. لهذا سنت الدول المختلفة يوماً معيناً من كل عام تحيي فيه ذكرى ذلك الإنجاز العظيم الذي وضعها على الطريق الصحيح.

وإذا كان اليوم او السنة الذي تحيي ذكراه كل عام يمثل إنجاز أمة بأكملها ويعتبر نقطة تحول في مسار تاريخها، فإن ذلك اليوم أو العام يصبح محط أنظار الجميع، لذلك يستحق أن يحتفل به وأن تحيى ذكراه، ذلك ليتذكر الجميع ذلك الإنجاز وبالتالي يحفزهم للمحافظة عليه ليس هذا فحسب، بل يتعدى الأمر ذلك إلى جعل اليوم الوطني نافذة نطل منها على الماضي ونتمعن في ما تم إنجازه ونستشرف منها آفاق المستقبل لوضع خطط طموحة ننفذها بعزيمة وجد واجتهاد متلافين أخطاء الماضي وعازمين على تقويم المسار وتصحيح اتجاهه كلما مرت ذكرى ذلك اليوم العظيم.

نعم إن اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية الذي تحل ذكراه الخامسة والسبعون هذا اليوم الذي تُوج مرحلة كفاح استمرت أكثر من ثلاثين عاماً قادها الملك الموحد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه الذي قاد شعبه في كفاح طويل استمر أكثر من ثلاثة عقود تمخض عن ميلاد هذا الكيان العظيم الذي أطلق عليه اسم المملكة العربية السعودية، وذلك عام ١٣٥١ه والذي نحتفل هذه الأيام بالذكرى الخامسة والسبعين له. نعم لقد استطاع الملك عبدالعزيز أن يوحد أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية في دولة ترفع علم التوحيد وتطبق شرع الله وتخدم الحرمين الشريفين وتدعم الدعوة في كل مكان وتبني الإنسان السعودي بناءً عصرياً من خلال الاهتمام بالتعليم والصحة والاقتصاد والأمن، ناهيك عن الاهتمام بالأمن المائي والغذائي. نعم لقد تحول ذلك المجتمع القبلي المتفرق والجاهل والمتناحر بفضل الله ثم بفضل جهود الدولة إلى مجتمع متحضر يتميز بالوعي والثقافة والعلم ويعمل على غرس جذور الحضارة الحديثة وإحياء ما اندثر من حضارة العرب وثقافتهم وذلك على امتداد ساحة الوطن مع تمسكه بالثوابت التي تتمثل في دينه الحنيف، وعاداته المتميزة، وموروثاته الجميلة، ناهيك عن اعتزازه بانتمائه العربي والإسلامي. نعم إن لهذا الوطن رسالة خاصة حملها ويحملها ولا يحيد عنها تحت كل الظروف، وهي نشر رسالته بين الأمم بالحكمة والموعظة الحسنة وليس من خلال عقيدة التكفير والتفجير التي ابتدعها ونشرها وجند لها أعداء هذا الوطن في سبيل النيل منه. نعم إن صدق النية والعزيمة وإرادة الرجال وقبل ذلك كله توفيق الله ثم تلاحم قيادتنا الواعية مع شعبها الوفي هو الدرع الواقي ضد الإرهاب وتجاره ومروجيه.

نعم تحل الذكرى الخامسة والسبعون لليوم الوطني والمملكة في مكان الصدارة بين الأمم في جميع المجالات فقولها الفصل في كثير من المجالات والأحداث الجارية سواء كانت ذات منظور اقتصادي أو سياسي أو عسكري فهي تتبع الأقوال بالأفعال على أُسس العقل والمنطق والاعتراف بالآخر واللجوء إلى الحوار وحل جميع المشاكل العالقة سلمياً ، ولم يذكر يوماً أنها اتخذت من العجرفة والمغالطة أسلوبا في علاقتها مع الآخرين.

واليوم ونحن نحيي ذكرى اليوم الوطني لا نستطيع أن نحصي أو نُعدد الإنجازات التي تمت على أرض هذا الوطن، فهي لا تُحصى ولا تُعد سواء كان ذلك في مجال التعليم الذي زاد عدد رواده من الطلاب على خمسة ملايين طالب وطالبة ووصل عدد الجامعات الحكومية فيه إلى أكثر من خمس عشرة جامعة، ناهيك عن المعاهد والكليات التخصصية للبنين والبنات، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصبح للتعليم الأهلي مشاركته في كل من مراحل التعليم العام والعالي ولا شك أن القادم أفضل فكل يوم يبنى صرح جديد وهذا يدل على أننا أمة متجددة تحث الخطى للحاق بركب الحضارة المنطلق بسرعة فائقة. أما في مجال الصحة فإن عدد المستشفيات وأحجامها وتخصصاتها في تزايد مستمر وانطلق أبناء هذا الوطن بتشجيع من قيادته الرشيدة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظهما الله، إلى العالمية وأثبتوا جدارتهم بالصدارة في كل ميدان من ميادين العلم والمعرفة، ومن ذلك تفوق المملكة في مجال فصل التوائم السياميين الذين يتقاطرون على المملكة للعلاج والاستفادة من خبرة أبنائها وكرم قيادتها وترحيب شعبها.

وإذا أردنا الحديث عن الأمن فإنجازاته رائدة ورائعة تسطر كل يوم بمداد من ذهب في ملحمة الحرب على الإرهاب فكل يوم هنا وهناك إنجاز أمني متميز ناهيك عن حملاته على الفساد وبنيته التحية والتي شملت عددا من الأحياء في مختلف مدن المملكة. أما المواصلات والاتصالات والدفاع فهي أيضاً تتحدث عن نفسها.

نعم لقد احتفلنا عام ١٤١٩ه بمئوية التأسيس، ونحن نحتفل كل عام بذكرى توحيد المملكة وهذا يعني أن الذكرى المئوية لتوحيد المملكة سوف تحل بعد خمس وعشرين سنة من الآن. وحيث إن الأمم الحية تضع لنفسها خططا وأهدافا طموحة تسعى إلى تحقيقها خلال فترة زمنية محددة لذلك فإن التفكير سوف ينصب على حجم الإنجازات التي سوف يخطط لإنجازها خلال تلك الفترة الزمنية التي تفصلنا عن ذلك الحدث العظيم وهو الاحتفال بالذكرى المئوية لليوم الوطني. نعم إن الخمسة والسبعين سنة التي مضت منذ إعلان توحيد المملكة العربية السعودية أصبحت في حساباتنا من حيث الزمن وفي حساب الأجيال الحاضرة والقادمة من حيث الإنجازات التي تمت خلالها على أرض الواقع سواء كان ذلك في مجال التعليم، او الصحة، والاقتصاد، أو الأمن، والدفاع، والمواصلات والاتصالات، والصناعة، والزراعة أو غير ذلك من الفعاليات التي تبني ولا تهزم.

نعم اليوم الوطني هذا العام يحل وقد فقد الوطن قائداً ورجل دولة من الطراز الأول هو الملك فهد بن عبدالعزيز طيب الله ثراه، وتسلم القيادة من بعده رجل فذ وقائد حكيم اتخذ من الحوار أسلوباً للبناء وتعهد لشعبه بالعدل والمساواة وآل على نفسه إلا أن يدحر الإرهاب وأهله ناهيك ان لديه رؤى سياسية واقتصادية وإدارية جديدة سوف تترجمها الأيام والأعوام القادمة إلى وقائع مثلما ترجمت الأعوام السابقة إنجازاته في كل حدب وصوب من أرجاء هذا الوطن الكريم، ذلك هو خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله الذي بدأ عهده بتحسين مستوى المعيشة من خلال زيادة الرواتب ١٥٪ ووعد بالمزيد ذلك أنه قائد يلتمس حاجة شعبه ويلبي مطالبه ويسانده في ذلك ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام حفظه الله الذي لا يألو جهداً في سبيل رفعة هذا الوطن وتقدمه. إن أهم ما يميز اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية هو أن الاحتفال بذكراه كل عام يتزامن مع إنجاز جديد وعمل مؤسساتي أكثر وضوحاً ونضوجاً، لذلك دعونا نتوقع ملامح المرحلة القادمة بمزيج من التفاؤل والتشاؤم ذلك أن التفاؤل يدفعنا للتخطيط والإعداد وافتراض أحسن الظروف المواتية، أما التشاؤم فإنه يجعلنا نضمن خططنا وبرامجنا المستقبلية الحيطة والحذر

وعدم اغفال المفاجآت غير السارة والتي يقلل من تأثيرها الاستعداد لها. فالتفاؤل طريق النجاح والحذر يحمي من الاستكانة فكل شيء يجب أن يكون مأخوذاً بعين الاعتبار وعليه يجب أن يعد لكل شيء عدته.

نعم إن لكل زمن مميزاته وانجازاته وعليه فإننا نأمل أن نحتفل بالذكرى المئوية لليوم الوطني بعد خمس وعشرين سنة قد تحققت اشياء كثيرة تعمل حكومتنا الرشيدة على تنفيذها أو تبنيها وذلك من خلال خطط عمل واستراتيجيات محكمة وقابلة للتنفيذ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

* العمل وبأقصى سرعة ممكنة للاستفادة من العوائد المجزية للبترول لإيجاد بدائل دخل آخر تعمل على تعدد مصادر الدخل بدلاً من الاعتماد على البترول كمصدر رئيسي للدخل القومي، خصوصاً إن الآخرين يعملون الليل والنهار لإيجاد مصادر أخرى للطاقة تحل محل البترول متذرعين بمجموعة من الحجج والمبررات لعل من أهمها ارتفاع أسعار البترول الذي لم يجد أحد له مبررا منطقيا غير انه من الحوافز الرئيسية للبحث والتطوير لإيجاد البديل المناسب وليس خافياً على أن الحصول على الطاقة من المصادر الحيوية المتجددة من طاقة الرياح واستخلاص الهيدروجين من الماء وتطوير الاستفادة من الطاقة الشمسية وجعل استخدام الطاقة النووية أكثر أمناً كل ذلك يصب في خانة البحث عن بدائل لمصادر الطاقة الأحفورية (البترول). ليس هذا فحسب بل يجب علينا إدراك ان البترول من المصادر القابلة للنضوب وإذا استمر العالم يستهلك البترول بهذه الشراهة فإن البترول سوف ينضب في غضون الخمسين سنة القادمة ونحن جزء من هذا العالم.

* لا شك أن العالم المتطور يبني خططه وطموحاته المستقبلية على دراسات استراتيجية وطنية وفي بعض الاحيان علنية وفي احيان أخرى تكون سرية حسب مقتضى الحال وعليه فإننا اليوم بأشد الحاجة إلى بناء مركز وطني للدراسات الاستراتيجية يعمل على وضع الخطط المستقبلية وفق منظور وطني بعيد المدى. نعم إن مركز الدراسات الاستراتيجية المؤهل يعتبر نافذة تستفيد منها جهات عديدة حكومية وخاصة، فهو عين بصيرة تعتمد في رؤاها على آراء وأبحاث ودراسات جماعية، وتلغي الاجتهاد الفردي لبعض المستشارين الذين لا يكلفون أنفسهم عناء البحث والاستقصاء عندما يستشارون.

* وضع اهداف محددة طبقاً لاستراتيجيات واضحة المعالم لما نريد أن يصل إليه التعليم بشقيه العام والعالي طبقاً لمتطلبات التنمية والخطط الاقتصادية والنمو السكاني وفرص العمل المتاحة وكذلك ما تتطلبه الصناعة وتوطين التقنية من عقول متميزة بالإضافة إلى ما تتطلبه الأمور الخدمية الصحية والامنية والعسكرية من إعداد وخبرات وقدرات متميزة.

نعم إن تطبيق أحدث الأساليب الكيفية التي تخدم الكم المتزايد من الطلاب وكذلك أساليب التدريس والتركيز على التخصصات التطبيقية والتقليل من الحشو المرجف وغير المفيد كل ذلك كفيل بأن يصبح الخريجون أكثر نضجاً وأحسن إعداداً وأكثر فهماً وتقديراً لما يريدون تحقيقه في مستقبلهم لأنفسهم ولوطنهم.

* علينا أن نعمل على تحويل جامعاتنا وبأقصى سرعة ممكنة من جامعات تقليدية إلى جامعات تطبيقية تعمل على تدريس وتوطين التقنية المتقدمة ومزودة بمختبرات تشد من أزر الصناعة الوطنية وتخرّج أجيالا أكثر مناسبة لسوق العمل من حيث الخلفية العلمية أو الاستعداد لاستيعاب التقنيات المتجددة والانخراط في مختبرات البحث والتطوير والمنافسة في أسواق العمل على المستوى الوطني والعالمي.

* اعادة صياغة جميع الأنظمة المتقدمة والجامدة مثل نظام الخدمة المدنية والأنظمة المماثلة بما يتماشى مع روح العصر ومتطلباته وبما يحقق المنافسة على فرص العمل مما يحفز الموظف على الانتاج خوفا من الاستغناء عنه. إن قاعدة «البقاء للأصلح» يجب أن تعكس صورة النظام في القطاع العام كما هي عليه الحال تقريباً في القطاع الخاص.

* توطين التقنية يعتبر هدفاً استراتيجياً تسعى كل الدول الطموحة إلى تحقيقه ذلك أن التقنية هي المفتاح الحقيقي والوحيد لأي تقدم منشود. وتوطين التقنية ليس استيراد منتجات التقنية واستخدامها الظاهري كما هو حادث لدينا ولدى كثير من دول العالم الثالث التي أصبحت أسواق تصريف لمنتجات التقنية واستهلاكها بل المطلوب هو توطين انتاج وصناعة وصيانة وتشغيل وتحديث وتطوير التقنية ودخول حلبة المنافسة العالمية من حيث إحراز قصب السبق في انتاج تقنيات جديدة ومتقدمة ومنافسة من حيث الكم ومن حيث الكيف. نعم إن توطين التقنية هو خيار استراتيجي لمن يريد أن يحقق تعدد مصادر الدخل وتلافي تحكم الدول المصدرة للتقنية بمخرجاتها وأسرارها.

* المملكة مؤهلة من نواح عديدة في أن تمسك زمام المبادرة في المنطقة من الناحية الاقتصادية والعسكرية والأمنية والصناعية بموقعها يؤهلها لذلك وقدرتها الاقتصادية تؤهلها لذلك ووعي قيادتها الرشيدة ونضوجها السياسي يؤهلها لذلك. فهل نضع ذلك الهدف نصب أعيننا؟ وبالتالي نعمل على ربط مصالح جميع دول الجوار وذلك في مجال المواصلات والاتصالات والنقل والاقتصاد بحيث يكون أمن واستقرار هذا الوطن جزءاً لا يتجزأ من اهتماماتهم.

أعز الله دولتنا الفتية وسدد خطا قيادتنا الرشيدة على طريق الصواب وإلى الأمام وكل يوم وطني ومملكتنا الحبيبة تزداد عزاً ومنعة بقيادة رائد المسيرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظهما الله. نعم انهما يوليان شعبهما كل محبة ويبادلهما الشعب الولاء والطاعة والله المستعان.